خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٨/٢١

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يوجّه أصحابه إلى الشكر والامتنان بشدة. ففي هذا الشأن يروي بير سراج الحق نعماني رضي الله عنه أن المسيح الموعود عليه السلام قال له ذات مرة:

"ما الذي جرى اليوم من جدال بينك وبين مِيرَان بخش المجنون؟".

(أقول: كان هناك رجلٌ مختلا عقليا إلى حد ما ولعل السيد بير سراج الحق جادله في أمرٍ ما). فيقول بير سراج الحق نعماني: فخفتُ، وقلت في نفسي: من يدري ماذا سيقول حضرته. فلربما كان عليه السلام قد سمع حديثنا كله. فشرحتُ له، وأنا خائف، كل ما جرى.

فقال عليه السلام: "قد رُفع القلم عن المجنون". أي إن مثل هذا الشخص لا يكون لديه إدراك أو تفكير سليم، ولا تُكتب أعماله الحسنة أو السيئة بحسب أحكام الشريعة، ولا يؤاخذ على ذنبه. فمثل هؤلاء الأشخاص، مهما قالوا أو فعلوا في هذه الحالة، لا يؤاخذون على ذلك؛ لأنهم لا يملكون القدرة على التفكير والإدراك، فأنّى لهم أن يؤاخذوا؟ إنما المؤاخذة تكون على من لديه عقل وإدراك.

وأضاف عليه السلام وقال: "إن الناس يسمّون أمثال هؤلاء مجذوبين وأولياء الله وأقطابًا ويستحقون الخدمة، وهذا قول خاطئ. والحق أن هؤلاء الناس ليسوا مجذوبين ولا أولياء الله، بل هم محرومون؛ أي محرومون من نِعم الله كلها. وكذلك محرومون من سلامة القوى العقلية والذهنية، ومن نعمة اللباس، ومن لذة الطعام والشراب، ومن نِعمة الزوجة والأولاد ورعايتهم، ومن الثواب المترتب على ذلك. ومحرومون أيضا من معرفة الله تعالى ومن العلوم عن ذات الله تعالى وصفاته.

إنهم محرومون من معرفة مكانة الرسول والنبي، ومن التوفيق لاتباعه والاقتداء به. كما هم محرومون من تلاوة القرآن الكريم، ومن فهم معانيه، وأسراره، ومعارفه ودقائقه. وهم محرومون من الشريعة والطريقة.

ثم إنهم محرومون من الصلاة التي هي معراج المؤمنين، ومن الصوم الذي جعل الله تعالى نفسه جزاءه، ومن أداء مناسك الحج، ومن الزكاة، وكذلك من تحصيل الثواب والدرجات التي تترتب على هذه العبادات".

وأضاف حضرته عليه السلام: "عندما ترون مثل هؤلاء الأشخاص، فبدلًا من أن تجادلوهم أو تتخاصموا معهم، ينبغي أن تحمدوا الله وتشكروا الله تعالى على أنه متّعكم بجميع النعم والبركات ولم يحرمَكم منها. فقد منحكم العقل، وأعطاكم الذهن والإدراك، وجعلكم قادرين على تلاوة القرآن الكريم والاستفادة من علومه، وأسراره، ومعارفه ودقائقه. ومنحكم القدرة على التمييز بين الحلال والحرام، ووفّقكم لمعرفة رسله، وأعطاكم العلم بذاته وصفاته".

إذن، حين وجّه حضرة المسيح الموعود عليه السلام إلى عدم الجدال مع أناس رُفع عنهم القلم، نصح أيضا بمعاملتهم بالحُسنى. وعلّم أيضًا الشكر على النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا. فيجب علينا نحن الأحمديين –عندما نرى أمثال هؤلاء الناس– أن نحمد الله تعالى ونشكره لأنه أنعم علينا بكل هذه النعم.

يقول مَلك محمد حسن محمد رضي الله عنه: جاء المسيح الموعود عليه السلام لأداء صلاة الفجر. وبعد الصلاة، توجّه إلى الصحابة وقال: "ظل الناس يعزفون على أدوات الموسيقا ويتغنون في الجوار على مدى الليل".

فقال أحدهم: يا سيدي! إن مرزا نظام الدين كان قد دعا إحدى الراقصات إلى منزله، فقام بمثل هذه الأعمال، وقد وعدها بدفع عشرين روبية مقابل رقصها ليلة واحدة، فظلت ترقص وتغني طوال الليل في منزل مرزا نظام الدين.

فتنهّد حضرته عليه السلام تنهيدة عميقة وقال: "ما أعظم وفاءها لمن دفع لها! إذ ظلت ترقص وتغني وظلت مستيقظة على مدى الليل مقابل عشرين روبية. بينما لا يستيقظ الناس حتى ساعة أو ساعتين من أجل خالقهم ومالكهم الحقيقي، الذي متّعهم بنِعم لا تُحصى".

وقد كرّر عليه السلام هذه العبارة مرتين أو ثلاث مرات.

فقد تحول تفكيره عليه السلام إلى أداء حق الله تعالى حتى عندما رأى عمل هؤلاء النساء السوقيات، وأعرب عن ألم شديد أن هؤلاء الناس يهدرون نومهم من أجل بضع روبيات، بينما الناس لا يشكرون الله تعالى حتى على نعمه الكثيرة التي لا تُحصى، ولا يهتمون بالنوافل والصلاة، ولا يستطيعون أن يسهروا من أجل عبادته. بل إن الكثيرين يتكاسلون حتى عن أداء الصلوات المفروضة، ويصبح الاستيقاظ لصلاة الفجر أمرًا صعبًا عليهم. لذلك، ينبغي لكل أحمدي أن يحاسب نفسه بهذا الشأن، ويتساءل: إلى أي مدى يؤدي حق شكر الله تعالى على نعمه؟

يصف الشيخ محمد إسماعيل صاحب السرداوي رضي الله عنه كيفية شكر المسيح الموعود عليه السلام عند تناول الطعام، فيقول: كانت من عادته عليه السلام أنه عندما يتناول الطعام كان يقول: "سبحان الله، الحمد لله"، وكان يأكل

وكأنه يبحث عن شيء ما. أي إنه كان، حتى أثناء تناول الطعام، يتذكر نِعم الله تعالى مع كل لقمة ويعبّر عن شكره وامتنانه لله ﷻ.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: لقد رأينا نحن أيضًا المسيح الموعود عليه السلام. وكانت عادته أنه عندما يأكل الخبز، كان يقتطع قطعة صغيرة من الخبز ويضعها في فمه، ثم يظل يمضغها جيدًا إلى أن تتمكن أسنانُه من مضغها كاملة. ولم تكن عادته أن يأخذ لقمة كبيرة، بل كان يأخذ دائمًا لقمة صغيرة. وبينما كان يمضغ اللقمة الأولى مدةً طويلة، كان يأخذ قطعة أخرى من الخبز ويظل يقلّبها في يده، وفي الوقت نفسه يردد: سبحان الله، سبحان الله. وبعد مرور بعض الوقت، كان يأخذ قطعة منها، ثم يضعها في الفم مع شيء من المرق.

ويقول السيد زين العابدين ولي الله شاه ﷺ: نظرًا إلى صغر سني، وكذلك لأن المسيح الموعود عليه السلام كان يُقيم والدي الدكتور السيد عبد الستار شاه ﷺ ضيفًا في منزله، فكنا نعيش في بيته وكأننا أفراد أسرة واحدة، فكنا ندخل المنزل ونخرج منه دون تكلف، ونام أيضًا في بيت حضرته عليه السلام.

وأذكر جيدًا أنه كلما تفشى وباء الطاعون في منطقة أو في مدينة، لم يكن حضرته عليه السلام يكتفي بإصدار الأمر بتنظيف منزله فقط، بل كان يهتم أيضًا بتنظيف دور الإقامة، وكان يأمر جميع الأصحاب كذلك بأن يتخذوا في بيوتهم الإجراءات اللازمة باستعمال الكبريت والنار والفينول والغوغل ونحو ذلك. (والغوغل مادة صمغية تُستخرج من شجرة، وتُستخدم في التبخير، وكان الغرض منها قتل الجراثيم) فكان حضرته عليه السلام يأمر باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على الجراثيم باستخدام هذه الأشياء.

وكان عليه السلام يقول: "إن الاستفادة من الأسباب والوسائل أيضًا من شكر نعمة الله تعالى".

فهي أيضا نعمة من نِعم الله تعالى، وينبغي أن نشكره على أنه خلق أشياء تكون دواءً لتلك الأمراض المتفشية ولتنظيف التلوث والقذارة والسموم المنتشرة في البيئة جراء تلك الأوبئة.

يقول حضرته: "ينبغي أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة، وهو بمثابة امتثال أمره. وإن ترك الأسباب مخالفٌ للشريعة الإلهية. (أي أن عدم استخدام الأسباب أيضا يخالف الشريعة.) ومقام التوكل يأتي بعد ذلك، (أي ينبغي ألا نتخذ الأسباب بحيث نتكل عليها فقط اتكالا كليا) بل المعرفة الحقيقية هي أن نرى يد الله تعالى وراء الأسباب. وما أستخدمه الآن إنما هي أشياء خلقها الله تعالى، وخلق الله تعالى لنا فيها أسباب الخير والراحة، فاشكروه".

وإذا فكّر الإنسان على هذا النحو، فإنه سيظل شاكرًا لله تعالى في كل حين وآن.

يروي حضرة محمد إبراهيم أنه في إحدى المرات عندما كان المسيح الموعود عليه السلام متواجدًا في غورداسبور عام ١٩٠٤م بسبب قضية كرم دين، أقمت أنا أيضا شهرًا كاملًا في غورداسبور في خدمة حضرته. وفي يوم من الأيام أحضر أحد من مدينة "ملتان" تمرًا طازجًا ناضجًا. فقال أحد الأصدقاء: إن التمر ذو تأثير

حارّ. فقال ذلك الشخص الذي أحضر التمر: كلوا منه ما شئتم، ثم كلوا بعده قليلا من البصل، فلن يصيبكم أي ضرر.

لقد كانت هذه أيضا من الوصفات العلاجية القديمة لدى بعض المسنين، ومنها إذا أكل أحد شيئًا حار التأثير فليأكل إثره البصل فيزول أثره.

فقال المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أحسن الله تعالى ترتيب الأشياء، فلكل شيء مصلح يقي من آثاره الضارة". وقال عليه السلام: "كلوا من المانجو ما شئتم –يقال: إذا كنتم من مرضى السكري فلا تأكلوا المانجو لأنه حلو جدًّا– ثم كلوا بعده قليلا من ثمر الجامون (البرقوق الأسود أو الرياعة الكمونية)، فإن الجامون أيضا علاج لمرضى السكري، وعليه فلن يحدث أي ضرر بأكل المانجو. وأما الموز فله أضرار وله فوائد أيضا، فكلوا منه ما شئتم ثم امضغوا بعده قليلا من الأرز النيء، فسينهضم كل شيء".

ثم ألقى حضرته عليه السلام حول هذا الموضوع خطبة بيّن فيها كيف أن الله تعالى قد هيّأ للإنسان ترتيبات روحية وجسدية بحيث لا يستطيع الإنسان أن يؤدي حق شكرها.

يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يعبر عن شكره لله تعالى على الشفاء من المرض أثناء كتابة مؤلَّفِه تذكرة الشهادتين:

"حين بدأت بتأليف هذا الكتاب كنت أنوي أن أكمله – قبل أن أسافر إلى مدينة غورداسبور بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٠٣م لمتابعة قضية جنائية رُفعت ضدي – وآخذه معي، ولكن اتفق أن أصبتُ بألم شديد في الكلية، فظننت أن هذا العمل سيظل دون تكميل لأنه لم يبق حتى سفري إلا بضعة أيام، ولو بقيتُ مصابا بألم الكلية – وهو مرض مهلك – لاستحال تأليفه. عندها وجّهني الله تعالى إلى الدعاء. ولما مضت ثلاث ساعات بعد منتصف الليل جمعت أهل بيتي وقلت لهم بأني سأدعو الآن فأمّنوا، ففي تلك الحالة من الألم والحرقة دعوت الله تعالى واضعا الصاحبزاده المولوي عبد اللطيف في البال وقلتُ: يا ربي، كنت أودّ تأليفه من أجل هذا الشهيد. فلما دعوت بهذا الدعاء غلبني النعاس وتلقيت إلهاما: "سلامٌ قولا مِن رَبٍّ رحيمٍ". فأحلف بالله الذي نفسي بيده أنه ما إنْ حانت الساعة السادسة صباحا حتى أصبحتُ سليما معافىً تماما، وألَّفت زهاء نصف الكتاب في اليوم نفسه. فالحمد لله على ذلك".

من الجوانب المشرقة في سيرة المسيح الموعود عليه السلام أنه كان يتحلى إلى درجة كبيرة بصفة الكرم والتقدير بحيث كان يشكر على الخدمات البسيطة والأمور الصغيرة أيضًا. يروي حضرة المولوي عبد الكريم أنه في هذا الأسبوع (أي عندما كان يروي ذلك) كان أغرب وأطيب ما حدث وقوّى إيماننا كثيرا هو وصول رسالة إلى حضرته. وقد ورد فيها بدليل قوي وبالتفصيل أن مصطبة النبي يوز آصف موجودة في منطقة جلال آباد من إقليم كابول، ويشتهر هناك أن هذا النبي قد جاء إلى هنا من الشام قبل ألفي سنة، وتوجد بعض الأملاك باسم هذه المصطبة من قبل حكومة كابل. وليس المحل محل الإطالة في التفاصيل.

يكتب المولوي عبد الكريم بأن حضرته فرح جدًّا بهذه الرسالة. وقال في هذه الفرحة: "إن الله تعالى شاهد وعليم أنه لو أتاني أحد بملايين الروبيات لما فرحت أبدا كما فرحت بهذه الرسالة".

يقول المولوي عبد الكريم: أيها الاخوان! أليست هذه الفرحة على أمر ديني علامة على أنه من عند الله؟ مَن هو الذي يفرح اليوم هكذا على أمر يتعلق بإعلاء كلمة الله. أقسم بالله أني في ذلك الوقت عندما رأيت فرحة حضرته ثم قدّرت ما في قلبي منها شعرت بخجل شديد، لأني وإن كنت مسرورا والأحباب أيضا كانوا يفرحون بأنّ طريقًا آخر قد ظهر لهزيمة الباطل، وقد اكتملت الآن خريطة مسير عيسى عليه السلام، لكن فرحة المسيح الموعود عليه السلام ما كان يضاهيها شيء.

لما ألف المسيح الموعود عليه السلام البراهين الأحمدية كتب فيها أسماء الذين أعانوه ماليًّا وشكرهم وحثّ على الدعاء لهم. وفي هذه القائمة دوّن أسماء مَن دفعوا خمس روبيات أو روبيتين، بل من دفعوا حتى أقل من ربع روبية أيضا. يقول حضرته عليه السلام:

"كيف أؤدي شكر الله رب العالمين الذي وفّقني أولا أنا العبد الضعيف بمحض فضله ورحمته ولطفه من الغيب لتأليف هذا الكتاب، ثم حبّب الزعماء المسلمين وصلحائهم وكبارهم وأثريائهم وغيرهم من الإخوة والمؤمنين والمسلمين، ورغّبهم ووجّههم إلى طبع هذا المولَّف وإشاعته ونشره. فمن الواجب أن أشكر هنا جميع الإخوة المعاونين الذين بسبب توجّهاتهم الكريمة سلمتْ أهدافي الدينية وجهودي من الضياع. إنني ممتنّ لإعانة هؤلاء الإخوة لدرجة لا أجد كلمات لأداء شكرهم، وخاصة حين أرى أن بعض الإخوة قد سبقوا وتسابقوا في هذا السبيل الخيِّر، وبعضهم وعد بمساعدات إضافية، فازداد امتناني وشكري أكثر من ذي قبل".

ثم كتب حضرته أسماء الذين قدموا المساعدة وقال: "لقد زيّنتُ ذيل هذه الفقرة بأسماء مباركة لجميع هؤلاء الأبطال أولي العزم والهمم العالية الذين قدّموا شيئا لشراء الكتاب وتبرّعوا لطبعه، مع ذكر المبالغ التي تبرعوا بها. (فقد سجل أسماءهم كلهم، ثم قال)

وسيبقى الحال على هذا المنوال إلى نهاية طباعة الكتاب، (أي سأظل أسجل الأسماء) لكي يدعو بالخير لمساعديَّ كلُّ مستفيض يسعد بهذا الكتاب ما بقي نقشه في صحيفة العالم من حيث الإفادة والإفاضة". (البراهين الأحمدية)

(أي أسجل هذه الأسماء لكي يدعو لي ولهم الناسُ ما داموا يستفيدون من هذا الكتاب. أي كل من ينتفع من هذا الكتاب يدعو لي وللمساعدين.)

ألَّف سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كتابا سمَّاه "منن الرحمن"، وأثبت فيه أن اللغة العربية هي أم الألسنة، والذين ساعدوه في إخراج بعض المراجع كَتب شاكرا لهم على مساعدتهم:

"لا أجد هنا بُدًّا من شكر أحبابي الذين ساعدوني في بحث إثبات اشتراك اللغات. وها إني أخبر بكل سرور وحبور أن أحبابنا المخلصين هؤلاء قد عملوا بجهد ومثابرة في بحث اشتراك الألسنة، وسوف يبقى عَملهم هذا تذكارًا خالدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد ضحّى لنا رجال الله هؤلاء بأوقاتهم الثمينة بسخاء، وأنجزوا هذا العمل العظيم بمنتهى الجدّ والكدّ ليل نهار، وإني لأعلم أنهم سينالون من الله ثوابا عظيما، لأنهم اشتركوا في حرب سوف تُدقُّ طبول انتصار الإسلام فيها عن قريب، فكل واحد منهم يستحقّ أن ينال وساما ربانيا. إنني لا أستطيع أن أصف كيف أنهم في كل جلسة كانوا يقطعون مئات الأميال بأفكارهم، ثم يرجعون فائزين ويقدمون لي هدية لفظ مشترك، إلى أن اجتمعتْ لديّ لغات العالم كلها. لن أنسى أبدًا ما أسداه لي أحبابي المخلصون هؤلاء من مساعدة قيّمة في إنجاز هذا العمل حتى أنني لا أجد كلمات لوصفها. وإني لأدعو الله تعالى أن يتقبل مساعيهم هذه، ويتقبلهم في سبيله، ويبعد عنهم الحياة النجسة على الدوام ويحفظهم منها، ويرزقهم أُنسه وحبّه، ويكون معهم. آمين ثم آمين".

ثم كتب حضرته أسماء الذين ساعدوه في هذا المجال، فكتب أولا أسماء عدد من الصحابة وسجل أولا اسم حضرة الحكيم المولوي نور الدين ثم حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي.

ثم كتب: "الله أعلم بمن هو أكثر منهم جهدًا في هذا العمل، فلن يُضيع جهود أي مخلص، ولكن فيما يتعلق بعلمي ومشاهدتي فأرى أن أخي الطبيب المولوي نور الدين وأخي المولوي عبد الكريم هما أكثرُهم جهدًا، فلا يزالان مقيمَينِ عندي منذ شهور عديدة منقطعين عن كل شؤونهم من أجل إنجاز هذا العمل. والمولوي نور الدين لم يقدم هذه المساعدة فقط، بل اشترى وجلب من أجل هذا العمل كتبًا إنجليزية رائعة على حسابه الخاص، وجمع ذخيرة من الكتب الثمينة لهذا الغرض نفسه. جزاهم الله خيرا، والله لا يضيع أجر المحسنين. آمين".

يقول حضرته عن ميان منظور محمد ﷺ: "من الواجب البيانُ شكرا على منة الله أنه تعالى بفضله الخاص أعطاني لإنجاز مهمة تحرير المؤلفات شخصا مخلصا جدا وجديرا بالتقدير أي عزيزي ميان منظور محمد الناسخ. خطُّه جميل ولا يعمل من أجل الدنيا، بل بسبب حب الدين فقط، وقد هاجر من وطنه واستقر هنا في قاديان. إنه لمن فضل الله العظيم أنْ تهيأ لي خادم مخلص ونشيط بحسب رغبتي، إذ أستطيع أن أطلب منه خدمة النسخ في أي وقت من الليل أو النهار، وهو يؤدي هذه الخدمة بكل إخلاص لنيل رضا الله تعالى. لهذا السبب تُطلق القذائف المتتالية على المعارضين بواسطة الكتب التي تهزمهم في هذه الحرب الروحانية. والحق أن توفير كل هذه الأسباب المؤيدة أيضا آية إلهية. فمن أية جهة أنظر أجد الأسباب المناسبة كلها مهيأة لي. وقد أُعطيتُ قوة في الكتابة وكأنني لست أنا الذي أكتب، بل الملائكة يكتبون وإن كانت يدي هي التي تعمل في الظاهر". (مجموعة الإعلانات مجلد ٢)

لم يكن حضرته يفوّت أي فرصة للشكر على أعمال أصحابه مهما كانت بسيطة، رغم الجهود الكبيرة التي كان يبذلها هو عليه السلام، وإنما مدح أصحابه على مساعدتهم فتيسرت له هذه الأعمال.

يقول حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني: كان حضرته يقدر خدمات بسيطة لأصحابه ويشكرهم ويواسيهم، ويجزيهم أكثر من جهودهم. في الأيام التي كان يريد أن ينشر أي كتاب أو كتيب عاجلا ويرى ذلك ضروريا، وكانت الأعمال تجري ليلا، فالذين كانوا يعملون مع حضرته من رجال المطبعة، كان يهيء لهم الحليب وأشياء أخرى باهتمام، وكان يدفع لهم أجرة أكثر من الأجرة العادية، ومع ذلك كان يُبدي الفرحة على أعمالهم ويشكرهم.

يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: قلب الأنبياء يكون شكورا. فهم يُبدون امتنانا عظيما حتى بأمر عادي جدا. فقد لاحظت أنه يوم كانت كُتب المسيح الموعود عليه السلام تُطبع ليل نهار، فرغم أنه لم يكن ينام عدة ليال على الإطلاق، كلما أحضر أحدهم البروفة ليلا، قام عليه السلام شخصيا لاستلامها إثر ندائه، وقال له: "جزاك الله أحسن الجزاء".

ثم قال: "كم تحمَّل هذا من المشقة، وكم هؤلاء يبذلون جهودا شاقة، جزاهم الله خيرا". مع أن حضرته كان يسهر بنفسه طول الليل.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: لقد نمت عدة مرات ورأيته يعمل، ثم كلما استيقظت رأيته يعمل حتى طلع الفجر. ومع أن الآخرين أيضا كانوا يعملون لابتغاء مرضاة الله، إلا أن المسيح الموعود عليه السلام كان يشعر بعنائهم ومشقتهم. لماذا؟ لأن قلوب الأنبياء مرهفة الحس جدا.

وهناك واقعة أخرى ذكرها حضرة مرزا بشير أحمد، قال: قال لي الحافظ نبي بخش من سكان قرية فيض الله تشك: ذات مرة ذهب المسيح الموعود عليه السلام إلى حديقته للتنزه، وكانت في يده المباركة عصا قديمة من شجر الصفصاف، فضرب بها شجرة لقطف ثمارها، فعلقت العصا في الشجرة ولم تسقط، فحاول الأصحاب كثيرا إنزالها دون جدوى. فاستأذنتُ المسيح الموعود عليه السلام بأن أصعد الشجرة وأنزل العصى. فصعدت فورا وأنزلت العصى المباركة. ففرح عليه السلام جدا وتعجب كثيرا، وظل يقول مرارا بكلمات مليئة بالمحبة: "ما شاء الله، لقد أبدعت يا نبي بخش، لقد صعدت الشجرة وأنزلت العصا فورا! كيف صعدتَ الشجرة، ومن أين تعلمت الصعود على الشجر. هذه العصا هي من عهد والدنا المحترم، وكأنك قد آتيتنيها اليوم جديدةً". وفي الطريق أيضا كان عليه السلام يكرر قوله: "ما شاء الله، لقد أبدع ميان نبي بخش في صعود الشجرة وإنزال العصا". وكان من عادته الشريفة أن يخاطب كل واحد باحترام، ولم يخاطب أحدا بلفظ "أنت"، سواء كان صغيرا أو كبيرا، رغم أني كنت طفلا صغيرا فلم يخاطبني قط بلفظ أنت.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: قال لي الدكتور مير محمد إسماعيل: كلما جاء أحدٌ المسيحَ الموعود عليه السلام بهدية شكره كثيرا، وذكر إخلاصه في البيت أيضا قال إن فلانا أرسل هذا الشيء.

كيف كان المسيح الموعود عليه السلام يشكر الإخوة على هداياهم البسيطة أيضا؟ ذكر حضرة مرزا بشير أحمد صاحب: كتبتْ لي زوجةُ الدكتور خليفة رشيد الدين المرحوم أنه في إحدى المرات أخذ زوجي الدكتور إجازة ثلاثة أشهر وجاء من آغره الى قاديان، وكانت "الخورمه"، إحدى الحلويات، وهي تُصنَع في آغره جيدةً جدا، على شكل حبات كبيرة، وكان عليه السلام يحبها كثيرا، وكلما زار الدكتور قاديان أحضر "الخورمه" لحضرته عليه السلام. فجاء الدكتور قاديان مرة، وكان عليه السلام لم يأكل الطعام منذ الصباح في ذلك اليوم. فوصلتُ وزوجي الدكتور إلى بيت المسيح الموعود عليه السلام وقت العصر، ففرح كثيرا وظل يسألني عن أحوال السفر. فقالت له حرمُه "أم المؤمنين" إن الطعام جاهز، فقال عليه السلام: "إني لا أجد شهية للطعام". فقالت له مشيرة إلي: إن السيدة مراد قد أتت لكم بالخورمه من آغره. فسُرَّ المسيح الموعود عليه السلام جدا وقال: "أما الخورمه فإني أحبها كثيرا، فهاتيها لآكلها". وعندما وضعت الخورمه أمامه أعجب بها وأشاد بها وقال: "ما أكثرَها". فأكل منها، وقال: "اتركوا الباقي لي، لقد أكلت منها شيئا وسوف آكل منها مرة أخرى". (لقد سبق أن ذكرتُ أن المسيح الموعود عليه السلام كان يأكل قليلا جدا، وكان يدعو الله تعالى وهو يأكل. على كل حال، قالت هذه السيدة:) ففرحتُ على إشادته بمعروفنا القليل هذا فرحة لا أستطيع وصفها. فأخبرت زوجي الدكتور بذلك، ففرح جدا، وظل يقول: سبحان الله، سبحان الله، رافعا رأسه الى السماء.

علمًا أن حضرة الدكتور كان من كبار المخلصين.

قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: عندما كانت القضية مرفوعة ضد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في محكمة غورداسبور مِن قِبل المولوي كرم دين الساكن في "بهين"، كان عليه السلام في ضائقة مالية شديدة، وكانت المصروفات قد ازدادت كثيرا. وبناءً على إشارةٍ من الله تعالى حثَّ بعض الأحبّة على الإنفاق، ومنهم الدكتور خليفة رشيد الدين. فما كان منه إلا أن جمع كل ما في بيته وأرسله إلى المسيح الموعود عليه السلام، وكتب أيضا: سوف أرسل لكم فيما بعد أيضا ما يأتيني من الدخل. فظل يرسل إلى حضرته عليه السلام ما يأتيه من الراتب الحكومي وما يكسبه بعمله الطبي الخاص. وأخبرني أحد الإخوة الذي كان ضيفا عليه في تلك الأيام وقال: قلت للدكتور: ترسل كل شيء هناك، ولا تبقي لك شيئا. فقال: نعم، هذا مقتضى الوقت، وعلينا أن نخدم المسيح الموعود عليه السلام.

ويتابع المصلح الموعود رضي الله عنه ويقول: وفي تلك الفترة كتب المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام للدكتور خليفة رشيد الدين رسالة، وقد قرأتُها أنا بنفسي، كتبَ فيها: "لقد بلغتَ في التضحية الذروةَ، فلا حاجة لك لدفع أي تبرع بعد اليوم". ذلك مع أن المسيح الموعود عليه السلام كان يحث دائما على التبرع بانتظام، وقال حضرته في مكان: "إن الذي لا يدفع التبرع لثلاثة أشهر لا يبقى في جماعتنا". ويتابع حضرة المصلح الموعود ويقول: ولعل هذه الرسالة ما زالت في بيت الدكتور خليفة رشيد الدين المرحوم. وظل يدفع التبرع بعد ذلك أيضا، وليس أنه امتنع عن التبرع بعد هذه الرسالة، وكان ينبغي له أن يدفع، لأن هؤلاء كانوا يؤدون

الفرض أولا ثم ينفقون شكرا لله تعالى.

في كتيب الوصية الذي كتبه المسيحُ الموعود عليه الصلاة والسلام بوحي من الله، قد استثنانا (أي نحن الذين أولاده) مِن دفع تبرع الوصية، وكنت أشعر في قلبي نوعا من الوخز بأننا قد حُرمنا فرصة التضحية، ثم فكّرتُ أن رسول الله ﷺ كان يعبد الله تعالى طويلا حتى تتورم قدماه، كما روت عائشة رضي الله تعالى عنها، فلما رأت ذلك قالت يا رسول الله، لماذا تشق على نفسك لهذه الدرجة، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: "أفلا أكون عبدا شكورا".

يقول حضرة المصلح الموعود: عند الوصول إلى مثل هذا المقام، ينبغي للمرء أن يعمل خيرًا؛ فإن لم يكن ذلك فرضًا وواجبًا، فليكن على سبيل الشكر. فخطر ببالي أننا، وإن كنا مستثنَين من تبرّعات الوصية، ينبغي لنا مع ذلك أن نؤدي شكر هذه النعمة. فاتخذتُ بعد ذلك طريقًا يكون فيه تبرّعي أكثر من تبرّعات الموصين. ثم تذكرتُ أن لي إلهامًا أيضًا، إذ أُلهمتُ بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام بأيام قليلة: "اعملوا آل داود شكرًا." (لقد سمى الله ﷻ المسيح الموعود عليه السلام داودَ في الإلهام التالي: "يا داود، عامل بالناس رفقًا وإحسانًا"). ومعنى ذلك أن الله تعالى يرفع المشقة عن بعض الناس، ولكن يبقى واجبهم أن يعملوا أيضًا شكرًا لله تعالى. ولعل هذا الإلهام كان لإزالة هذا الوهم بعينه عني.

ثم يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: فبعد ذلك دفعتُ تبرّعًا كثيرًا.

فأودّ أن أبيّن هنا أن بعض الأسئلة وصلتْني ويثير الناس أيضًا هذا السؤال أن جميع أفراد أسرة المسيح الموعود عليه السلام أو الخلفاء ربما لا يُفرض عليهم تبرّع الوصية، وأنهم مستثنَون. فليتضح أن هذا الاستثناء كان خاصًّا بأولاده الخمسة فقط، لا بزوجات أبنائه، ولا بأزواج بناته، ولا بأولادهم. فمن سيوصي منهم فسيتوجب عليه دفع تبرّع الوصية حتما، وكذلك يتوجب عليه دفع التبرّعات الأخرى، وسيتوجب عليه أيضًا دفع نصيبه من الممتلكات، تمامًا كما يدفع جميع المنضمين إلى نظام الوصية.

باختصار، أودّ أن أوضح أيضًا أن أرض "بهشتي مقبرة" في قاديان كان المسيح الموعود عليه السلام هو الذي وهبها، ولعل هذا أحد أسباب الاستثناء، وقد تكون هناك أسباب أخرى كثيرة في علم الله تعالى، بسببها استثنى الله تعالى أولاد حضرته الخمسة من دفع تبرّع الوصية، وأذن لهم بالدفن في "بهشتي مقبرة". لكن هؤلاء الأولاد قدّموا تضحيات كثيرة جدًّا، قدّمت حرمه "أم المؤمنين" تضحيات، كما قدّم أولاده تضحيات كثيرة في كل مرحلة، كما يثبت من تاريخ الجماعة.

باختصار، كما ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه، فإنه قدّم تضحيات مالية للأغراض الجماعية أكثر مما يقدّمه الموصي العادي، وكذلك فعل بقية أولاد المصلح الموعود رضي الله عنه أيضًا. وليتضح أيضًا أنه لم يُستثن من ذلك أي خليفة بعد المصلح الموعود، بل إن الجميع قد انضموا إلى نظام الوصية وظلوا يؤدّون تبرّع الوصية لهم، كما أسهموا في جميع الصناديق التي دعا إليها الخلفاء، وأسهموا بسخاء وفق استطاعتهم. فلا استثناء

لأحد، لا لأي خليفة ولا لأي فرد من أفراد أسرة المسيح الموعود عليه السلام. كان هذا الاستثناء خاصًّا بأولئك الأولاد الخمسة فقط. وإنما أوضّح هذا الأمر لأن سؤالًا وصلني من بعض الأماكن.

يروي مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: كتب لي المنشي عبد العزيز الأوجلوي أن المولوي محمد حسن البتالوي حين رفع دعوى جنائية على المسيح الموعود عليه السلام في غورداسبور وكان حضرته مقيما في بيت السيد خان علي محمد المتقاعد، المتصل بمسجد الحجامين، وكنت أنا وميان جمال الدين وإمام الدين وخير الدين، من سكان سكهويان، مع حضرته عليه السلام، وكان باقي الأصحاب في مكان آخر. وفي يوم اشتكى حضرته من داء البطن، (وكان حضرته كثيرا ما يعاني من مرض الأمعاء) وكان يذهب مرارا لقضاء الحاجة، وأمرنا أن نظل نائمين وقال: "أنا أنهض، فلا تنهضوا أنتم". وكان كلما نهض حضرته لقضاء الحاجة، ينهض العبد الفقير في الحال حاملًا إبريق الماء، ويمشي مع حضرته. وظلّ الحال على هذا المنوال طول الليل، وفي كل مرة كان حضرته يقول: "ابق نائما". وفي الصباح، جلس حضرته في المجلس وذكر لي قائلًا: "هناك فرق بارز بين حواريي المسيح الناصري وبين أصحابي. فحين حلّ بالمسيح وقت شدةٍ، كان يوقظ حواريه ويقول لهم: اسهروا وادعوا، لكنهم كانوا ينامون، فيوقظهم مرارًا فيعودون إلى النوم. أما حواريو المسيح المحمدي فحالهم على العكس؛ فأنا أُلحّ على أصحابي مرارًا أن يناموا، لكنهم مع ذلك يظلّون ساهرين". ثم ذكر اسم العبد الفقير وقال: "لا أدري هل نام ميان عبد العزيز طول الليل أم لا؟ فكلما نهضتُ، نهض هو فورًا بيقظة تامة، وكان ينهض رغم إلحاحي المتكرر عليه بأن ينام".

وقد علّق مرزا بشير أحمد على ذلك بقوله: إن قول المسيح الناصري صادق، بل هو صادق حتمًا، أن الشجرة تُعرف بثمارها. فعلى كل شخص غير متعصب أن يسلّم بأن الثمر الحلو الذي أنتجته صحبة المسيح الموعود عليه السلام، لم تستطع صحبة المسيح الناصري عليه السلام أن تنتجه قط. فقد أنتجت أنفاس المسيح الموعود القدسية جماعةً من الآلاف بل مئات الآلاف، كانت ترى في التضحية بأرواحها من أجله أعظم فخر تفتخر به، بل لا تزال ترى ذلك إلى الآن. وكانت وما زالت مستعدّة للتضحية بكل راحتها وسكينتها لأدنى ألمٍ يمسّه. أما المسيح الناصري عليه السلام فلم يستطع حتى أن يحافظ على جماعته القليلة المؤلّفة من اثني عشر رجلًا، حتى إن واحدًا منهم سلّمه مقابل ثلاثين قطعة فضية، وأبلغ الحكومة عنه. (سيرة المهدي المجلد الاول)

يروي السيد عناية الله رضي الله عنه أنه لما جاء إلى قاديان أول مرة، أحضر معه قارورة عطر، وكان قد سافر ماشيًا. وبات ليلته في بتالا، وحين نظر إلى القارورة، وجد أن العطر كله قد ضاع إلا قطرة واحدة، فأسِف على ذلك أشدّ الأسف. وعند صلاة المغرب، حين صعد حضرته إلى سطح المسجد المبارك، صافحه، وبدأ يدلّك له، فقال لحضرته: كنتُ قد أحضرتُ قارورة عطر، لكنها ضاعت في الطريق. ثم قدّم القارورة إلى حضرته وفيها تلك القطرة الواحدة فقط. فقال حضرته: "لقد نلتَ ثواب القارورة كاملة"، وقال: "جزاك

الله خيرا".

ويروي محمد إسماعيل ﷺ: كنتُ في نحو العشرين من عمري حين كانت قضية كرم دين الجهلمي – وهو من قرية بهين في محافظة جهلم، ولعلها في محافظة تشكوال حاليًا – سيصدر الحكم فيها في غورداسبور. فوصلتُ إلى هناك من قريتي قبل يوم واحد. وكان حضرته عليه السلام نازلاً هناك في أحد المنازل. وكان الجو حارًّا، وكان المسيح الموعود عليه السلام جالسًا في إحدى الغُرف. وكان والدي السيد ميان جمال الدين والسيد ميان محمد الدين السيكهواني، والسيد شودري عبد العزيز موجودين هناك أيضاً. فذهبتُ وبدأتُ أُرَوِّح بالمروحة على المسيح الموعود عليه السلام. فنظر إليّ حضرته، وأشار إلى والدي السيد ميان جمال الدين، وقال مبتسماً: "لقد جاء ميان إسماعيل أيضاً، وأخذ نصيبه من الثواب". وإن فرح المسيح الموعود عليه السلام بالخدمة البسيطة المتواضعة، ما زال إذا تذكرتُه حتى اليوم يملأ قلبي سروراً.

ويروي السيد ميان صدر الدين: كان على جسم حضرته رداءٌ صوفيّ، وكان يضعه على كتفه ويخرج به. ومرةً أخبرني شودري بهولا أنه ذهب ذات مرة مع المسيح الموعود عليه السلام إلى قرية بتالا، وكان مع حضرته حصان. فركب حضرته عليه مدةً، ثم أركبني عليه، أي إنه ركب الحصان أولاً بنفسه، ثم جعلني أركبه، ثم سار بالحصان فترةً وهو خالٍ من الراكب، لكي يستريح الحصان أيضاً. وكذلك أخبرني والد چراغ، الذي كان يعمل في المدرسة الأحمدية، أنه ذهب ذات مرة مع المسيح الموعود عليه السلام إلى البئر المعروف ببئر الفَجّة الكشميرية، لكي يغتسل هناك. وفي الطريق أعطاني حضرته بيسةً، وقال لي: "اذهب واشترِ ريوْرِي" (السمسمية). وهنا تبدأ قصة شكره فيقول: فلما جئت بها، قسّمها حضرته إلى قسمين، ومدّ إليّ أحدهما. فرفضتُ أن آخذه، فقال حضرته: "كيف آكل هذا وحدي؟ النقود نقودي، وأنا الذي طلبتُ شراءها، ولكن أنت الذي ذهبتَ وجئتَ بها وقد بذلتَ جهدك". ثم أعطاني نصف الريوْرِي.

وهذا أيضاً أحد أساليب حضرته في تقدير جهود الآخرين وشكرهم عليها. فكان حضرته يشكر كلَّ من كان يخدمه، صغيراً كان أو كبيراً، وبأي صورة من صور الخدمة. وقد ذكرتُ عدة أمثلة على ذلك.

ويروي السيد شير محمد أيضاً: في قضية كرم دين، عندما ذهب المسيح الموعود عليه السلام إلى جهلَم في الموعد المحدد للمحاكمة، كان أصدقائي في بتاله قد أعدّوا الشاي ودعونا إليه. فحضر الجميع، وكان من بينهم المسيح الموعود عليه السلام، كما كان السيد المولوي عبد اللطيف ﷺ معنا أيضاً. فقال المسيح الموعود عليه السلام: "مَن الذي سيقدّم الشاي؟". وكان الأصدقاء قد دعونا إلى تناول الشاي. فعرضتُ قائلاً: هؤلاء خُدّامكم. وكان هؤلاء في الواقع طهاةَ أولئك السيدات الإنجليزيات، أي زوجات الضباط الإنجليز، الذين كانوا يعملون في بيوتهنّ ويقومون بإعداد الطعام لهنّ.فقلتُ: هؤلاء هم الطهاة الذين يخدمون أولئك النساء اللواتي يجُبْنَ المنادِيَاتِ بأن المسيح عليه السلام هو الله وابنه. وهؤلاء الخدم الموجودون هنا الآن هم الذين يخدمون أولئك الأشخاص أو يعملون لدى أولئك الذين يقولون إن المسيح الناصري، هو ابن الله.

فلما سمع المسيح الموعود عليه السلام ذلك، أبدى حضرته سروره، ثم شكر هؤلاء الأشخاص الذين قاموا بترتيب الشاي. وسواء أكانوا مسيحيين أو غير مسلمين أو كانوا من الأصدقاء على أي حال، فقد شكرهم حضرته، ولم يقتصر الأمر على شكرهم شفاهاً في ذلك المكان، بل ذُكر أيضاً أنه أعلن شكره لهم في الصحيفة بعد ذلك، وكتب أنهم قاموا بخدمته هناك. وهكذا يتضح مدى الأهمية التي كان المسيح الموعود عليه السلام يمنحها لخدمة الآخرين؛ فلم يكتفِ بمجرد توجيه الشكر إليهم، بل أعلن عن شكره لهم أيضاً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا نحن أيضاً إلى التحلي بأعلى معايير الشكر والامتنان.

******